

# الفصل الثانى علم التاريخ الأصل - النشأة - التطور

بدايات التدوين

تطور التدوين

محاولات القدماء فى تسجيل الأحداث

دور العرب فى التدوين

علم التاريخ عند المسلمين

التاريخ الهجرى



## الفصل الثاني علم التاريخ الأصل - النشأة - التطور

### بدايات التدوين

تعود نشأة التدوين إلي المصور التاريخية الاولي حيث استطاع الاناس القديم أن يقيم أسس الحضارة الإنسانية ويرسي قواعدها ليرفع عليها بنيانا شامخاً يعكس أعمال الفكر الإنساني ونتاجه مادياً ومعنوياً.

وتدل الدراسات الأثرية علي أن الإنسان القديم ومنذ مراحل حياته البدائية حاول أن يسجل بعض ما كان يدور بذهنه وإن لم يكن مفهوماً، إلا أن ذلك يعد محاولات للتعبير تطورت علي فترات متتالية لتكون في النهاية بدايات لأبجدية مكتوبة كما حدث في اللغة المصرية القديمة واللغة السومرية واللغة الفينيقية

ولم تكن محاولات الإنسان القديم في سبيل الوصول إلي وسيلة للتعبير عن نفسه وعن أفكاره مما يشهين به الباحث الحديث، فلا شك أنه قد صحبها معاناة وتجارب تعد جزءاً أساسياً من تاريخ الفكر البشري.

ومن المعروف تاريخياً أن هناك مراحل أساسية في تطور الإنسان وتطور حياته ثقافياً وحضارياً، وأن تلك المراحل تعتبر نقاط تحول جذرية في تاريخ الحضارة البشرية، فقد انتهى عصر جمع الطعام بالثورة الصناعية الاولي في حياة الإنسان القديم يوم تحول الإنسان من جامع طعام إلي صانع للطعام.

ومع نجاح تلك الثورة الصناعية التي تميزت باكتشاف الإنسان للنار تحدت مرحلة جديدة في الحياة علي الأرض ومن ثم في تاريخ الإنسانية. فقد ارتبطت تلك المرحلة ببداية الاستقرار الإنساني، ومع بداية استقرار الإنسان عرف الزراعة

وصحب هذا التطور الهام في تاريخ البشرية نشأة القرية والمدينة ومن ثم بدأ الإنسان يفكر في إقامة أنظمتها السياسية والإدارية المختلفة.

استقرت البشرية بما يقدره المؤرخون والاثريون مع بداية الألف الخامس قبل الميلاد وحتى يصل العلماء إلي هذه النتيجة، استغرق الإنسان عصوراً طويلة حتي استطاع أن يترك لعلماء التاريخ أدلة أثرية تؤكد استقراره وإقامته لمجتمعات بشرية منظمة.

وإذا كان الألف الخامس قبل الميلاد يحدد بداية قيام المجتمعات المستقرة، فإن مراحل طويلة من العمل عاشها الإنسان حتي يصل في نظر المؤرخين إلي نقلة حضارية جديدة وهي بداية التدوين.

وتنقسم المدارس التاريخية حول هذه القضية قسمين رئيسيين، القسم الأول يقول بالاصطلاح المعروف بالتقويم الطويل Long Chronology وهو الذي يحدد عام ٣٢٠٠ ق.م بداية حقيقية للتدوين أي معرفة الإنسان للكتابة. أما القسم الثاني فينادي بما اصطلح عليه بالتقويم القصير Short Chronology حيث يحدد عام ٣٠٠٠ ق.م بداية لتلك النقطة الحضارية الكبرى في تاريخ البشرية وهي معرفة الإنسان للكتابة وبداية التدوين.

ومن ناحية أخرى تختلف الآراء حول المكان الذي بدأ فيه التدوين، فهناك فريق من العلماء يرى أن بداية التدوين كانت في مصر القديمة وعلي أيدي المصريين القدماء، بينما يرى الفريق الآخر أن بداية التدوين إنما بدأت في العراق القديم وعلي أيدي السومريين، كما ظهرت مدرسة ثالثة تقول بأن البداية في كل من مصر وبلاد الرافدين قد تزامنت وأن التدوين قد بدأ في وقت واحد تقريباً في كلا البلدين، اعتماداً علي النظرية القائلة بأن اليناث المتشابهة تتج حضارات متشابهة.

ومهما يكن من أمر فإن التدوين قد بدأ في الشرق الأدنى القديم وأن الريادة لهذا الإنجاز الحضاري يعود لشعوب هذه المنطقة التي خصها الله سبحانه وتعالى باستقبال أنبيائه لتبليغ رسالته فيهم وعلي أرضهم.

اهتم العلماء القدامى والمحدثون بهذا الإنجاز الحضاري العظيم وهو التوصل إلى التدوين وظهور الكتابة سواء في مصر أو في العراق، إذ تحددت بظهور الكتابة ومعرفة الإنسان لها مرحلة أساسية هامة في التاريخ البشري.

وقد سبق الوصول إلى الكتابة عن طريق الحروف الأبجدية مراحل هامة في التاريخ البشري. عزفها المؤرخون والأنثروبولوجيون باصطلاح عصر ما قبل الكتابة (Pre Literate) وعصر ما قبل الكتابة (Proto Literate). وهذان الاصطلاحان يرادفان

مرحلتي ما قبل وما قبل التاريخ. PreHistory, proto History.

ومن الجدير التأكيد علي أنه إذا اعتبرنا توصل الإنسان إلى عصر الاستقرار وإنتاج الطعام ثورة حضارية فإن توصل الإنسان إلى الكتابة يعتبر تحولاً حضارياً خطيراً بل لعنه من أهم الإنجازات الحضارية التي شهدتها العام القديم بأسره.

وارتبطت نشأة الكتابة وظهور التدوين بظهور الأديان فقد تزامن بحث الإنسان عن وسيلة تعبيرية، بحثه عن القدرة العظيمة وراء خلقه ووراء خلق الكون فحيا فيه من عناصر مختلفة، وكان هذا البحث يتضمن بحثه عن أصله وذاته، إضافة إلى بحثه عن أمان لعقله وطمأنينة لإدراكه.

ولهذا فإن بدايات الفكر الديني كانت محاولات منه لتأكيد ذاته، وحرصاً علي الحصول علي الأمان من قوة خفية لم يستطع في تلك العصور الأولى من حياته علي الأرض التوصل إلى ماهيتها وكنهها.

ولعنا نتساءل الآن، ماذا كانت الكلمات الأولى أو العبارات الأولى أو حتي الخريشات الأولى التي وصلت إلينا علي أنها أول ما دون الإنسان القديم؟

يقول Prof. Emry في كتابه Archaic Egypt: إن أول الكلمات التي كتبها الإنسان القديم كانت كلمة إله أو الله. وهو ما وجد في النقوش التي عثر عليها

علي بعض الصخور في الصحراء الغربية بمصر. (١)

وهذا يؤكد أن الإنسان القديم كان دائم البحث عن حقيقة وجوده، وحقيقة خلقه، وأنه لم يوجد من عدم، لكن إرادة الله ومشيئته هي التي أوجدته وخلقته فاحسنت خلقه وتصويره، كما نستطيع أن ندفع بهذا الرأي إلي أبعد من ذلك فنقول: إن الإنسان القديم قد آمن بوجود الله وأن التطور والطفيلان وحب الملكية كل تلك العوامل هي التي مسخت الفطرة وأظهرت الأديان الوضعية التي عرفها العالم القديم.

علي أية حال كانت الكتابة ومعرفتها بداية لظهور التدوين حيث يمكننا أن نقول إن نشأة التاريخ تعود إلي نشأة التدوين وترتبط به حيث بدأ الإنسان يسجل أسفارا لحياته علي الأرض.

وكان لظهور اللغة المصرية القديمة أهمية كبرى في تدوين أحداث الحياة في مصر القديمة، كما استخدمت في نفس الوقت السومرية في تسجيل تفاصيل التاريخ في بلاد الرافدين.

ومن جهة ثالثة كان للغات الأخرى التي ظهرت فيما بعد في الشرق الأدنى القديم دورها الأساسي في كتابة تاريخ الحضارة الإنسانية التي كان مهدها بلاد الشرق الأدنى القديم. وكان لشعوب هذه المنطقة الدور السابق في تدوين تاريخ الحياة البشرية بجوانبها المختلفة منذ أقدم العصور.

لذلك لا نكون مبالغين إذا استتجنا أن نشأة التاريخ ولو بشكل بدائي تعود إلي بداية التدوين أي إلي الألف الرابع قبل الميلاد.

ومما لا شك فيه أن تجارب إنسانية عديدة قد مرت بها فكرة الكتابة حتي بدأ الحس التاريخي في الظهور وصاحب ذلك اهتمام الإنسان بضرورة كتابة أحداث حياته اليومية.

وحين تكونت الدولة بدأ معها الشعور بالحاجة إلي تسجيل الأحداث خاصة

(1) Emery . D, Archaic Egypt. p. 17

ما يتعلق منها بأخبار الملوك وحروبهم وانتصاراتهم .

والدارس لتاريخ مصر القديم يستطيع أن يتلمس المراحل التي مرت بها الكتابة التاريخية، ولعل لوحة نارمر أو نعرمر أول ملوك مصر في العصر الثيني تعد سجلاً أساسياً يعتبرها الباحثون بداية حقيقية لتدوين التاريخ كما أنها تحمل إثباتاً لبداية الدولة في مصر . (١)

### تطور التدوين:

هناك مصادر أساسية يعتمد عليها الدارسون للتاريخ يحددون فيها المراحل التي تطورت من خلالها عملية التقويم والكتابة ومعرفة الزمن . فمن المعروف أن الشعوب القديمة كانت تسجل الأحداث وتدونها حسب وقوعها مقرونة بحدث ما، كما ميزوا سنوات حكم ملوكهم أو حكاهم بحدث أو ظاهرة معينة .

فالمصري القديم استطاع أن يسجل أحداثاً هامة في تاريخه ابتداء من العصر الثيني، واستخدموا تعداد الماشية الذي كان يتم في مصر كل عامين دليلاً يحددون به سنوات حكم الملك الحاكم (٢) وظلت هذه الطريقة معمول بها حتي استعاضوا عنها ببداية جلوس كل ملك علي العرش ومنها يحسبون السنوات التي يقضيها في حكم البلاد .

كما استطاع المصري القديم أن يرصد الظواهر الطبيعية ويربط بها الأحداث الهامة في حياته كفيضان النيل فقد راقب أن ظهور نجم الشعرى اليمانية بداية فيضان النيل ولهذا جعل دورة النجم هي دورة السنة الزراعية التي قسمها إلي ثلاثة

(١) انظر دكتور نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ج١، ص ٤٥ .

(٢) دكتور أبو الحسن المحسن عصفور معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م

أقسام أو فصول هي فصل الفيضان وفصل البرع وفصل الحصاد. كما قسم كل فصل من تلك الفصول إلى أربعة شهور وبذلك يكون مجموع أشهر السنة اثني عشر شهراً.

ورصد المصري أيضاً أن دورة نجم الشعري اليمانية أقصر من السنة الشمسية بمقدار ربع يوم ويتفق المؤرخون علي أن توصل المصريين القدماء إلي رصد هذه الظاهرة الطبيعية الهامة كان في عام ٤٢٤٠ ق.م.

وهذا يجعل علماء الآثار يرجحون أن البداية الحقيقية للعصر التاريخي تكون

في ذلك العام ٤٢٤٠ ق.م. أي قبل بداية التدوين في ٣٠٠٠ ق.م. (١)

ومن ناحية أخرى فقد رأى المؤرخ المصري مانيتو السنودي الأصل والذي عاش في عهد الملك بطليموس الثاني تصحيح كتابة تاريخ مصر، فألف كتاباً في ثلاثة أجزاء باليونانية بعنوان اجبتياكا ايومنياماتا، وربما يعزي ذلك إلي تكليف من الملك، وعلي الرغم من أن المؤلف الأصلي لم يصل إلينا فقد اهتم به جوزيف اليهودي الذي أنقذ جزءاً هاماً من كتاب مانيتو ومن بعده يوليوس الأفريقي ٢٧١م وتبعه يوسيديوس الذي كان أسقفاً بقيصرية. وقد قسم مانيتو الأسرات المصرية إلي ثلاثين أسرة وقدم ملخصاً عن بعض العهود من تاريخ مصر. (١)

ويري بعض المؤرخين تقسيم تاريخ مصر القديم إلي فترات ارتبطت بقوة الدولة وضعفها وفترات ازدهار الحضارة فيها أو اضمحلالها.

ففي عام ٣٢٠٠ ق.م بدأت الدولة المستقرة الموحدة الأولى في مصر وهذا ما يعرفه المؤرخون بالعصر الثاني وبداية من عام ٣١٠٠: ٢١٨١ ق.م يعرف بعصر الدولة القديمة أو عصر بناء الأهرام، وهناك من يدخل في هذه المرحلة التاريخية المرحلة السابقة عليها لتشمل بذلك الأسرات من الأولى إلي السادسة.

واعتباراً من ٢١٨١: ٢١٣٤ ق.م يبدأ عصر الانتقال الأول، أو عصر الفوضى والاضمحلال الأول وفي هذه المرحلة حكمت مصر الأسرات السابعة

(٢) انظر نجيب ميخائيل - مصر والشرق الأدنى القديم - ج ١، ص ٤٠.

والثامنة والتاسعة والعاشره .

أما عصر الدولة الوسطي فيبدأ من ٢١٣٤ : ١٧٨٦ ق.م وفيه قام علي حكم مصر ملوك الأسرتين الحادية عشر والثانية عشره .

وشهدت مصر عصرأ ثانياً من الفوضى والاضمحلال أو ما يصطلح المؤرخون علي تسميته بعصر الانتقال الثاني وفيه دخل الهكسوس مصر، ويشتمل علي الأسرات من الثالثة عشر وحتى السابعة عشر ويمتد من عام ١٧٨٦ : ١٥٨٠ ق.م .

ثم يعقب ذلك صحوة حضارية في تاريخ في مصر حيث تقوم الإمبراطورية المصرية أو الدولة الحديثة حيث حكمت الأسرات الثامنة عشر والتاسعة عشر والعشرون وذلك بدءاً من ١٥٨٠ : ١٠٨٧ ق.م .

ثم يأتي في تاريخ مصر ما يسمي بالعصر المتأخر وفيه تتوالي الأحداث فتحكم أسر ضعيفة لم تستطع أن تعيد للدولة التي صنعت الإنجازات الحضارية سابق عظمتها وقوتها .

وتوالي علي حكم مصر في تلك الفترة الليبيون والنوبيون والكهنة، ودخل الفرس مصر ومن بعدهم اليونان، وهذه الفترة تمتد علي مدي الأسرات من الواحدة والعشرين وحتى الأسرة الثلاثين .

حاول العلماء والمؤرخون والأثريون أن يصلوا إلي حقيقة تطور التدوين، وحقيقة تطور الفكر الإنساني فيما يتعلق بتسجيل أحداث حياته في مجالاتها المختلفة، فقدم الباحثون لذلك نتائج جهودهم وتجاربهم التي تهدف إلي التوصل إلي كيفية بناء الإنسان لحضارته علي هذه الأرض .

واستطاع Lebyy صاحب نظرية carbon14 أن يصل إلي تحديد البداية للاستقرار وذلك بحساب عمر المواد المتكربنة التي تم العثور عليها من قبل الأثريين وبهذا أمكن تحديد الزمن الذي أنتج فيه الإنسان القمح ومعرفته للزراعة وما صاحب ذلك من ظهور المجتمعات المستقرة وما تطلبه ذلك من خدمات وأدوات .

ورأي عالم الآثار الإنجليزي بيتري أن يستخدم ما أسماه بالتقويم المتتابع  
Sequence dating ليحدد تطور الحضارة المصرية القديمة .

وتوصل المؤرخ الإنجليزي Toynbee إلى نظريته الشهيرة التحدي والاستجابة التي  
يمكن تطبيقها علي كل الظواهر التاريخية، ورسخت نظرية Challenge&Response  
بحيث تمكن الباحثون من تفسير الأحداث طبقاً لها. (١)

ولم تقتصر الجهود البشرية لتطور تديونها التاريخي علي مصر والمصريين  
القدماء بل اشتركت شعوب أخري في بناء السجل البشري لتدوين تاريخ الإنسان

### محاولات القدماء في تسجيل الأحداث:

إن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث الهامة أو غير الهامة كما أنه ليس  
مجرد تسجيل لظواهر طبيعية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية إنما هو نتاج  
العقول البشرية والدليل علي وجودها فهو عصارة وجدانها.  
ومن أعظم ما يدل علي عمق الفكر عند الإنسان القديم وبصفة خاصة في  
مصر القديمة حرصه الدائم علي البحث عن الحقيقة الأولى في حياة الإنسان  
الالوهي الموت.

إن الميلاد ميلاد أي شئ أسهل في الاستيعاب والاقتران من الموت، وعلي  
الرغم من أن الإنسان منذ بدء الخليقة وحتى يأتيه اليقين سيظل حائراً مكتوف  
الأيدي أمام هذه الحقيقة الكبرى ذلك أن الموت من الحقائق التي سلمت بها البشرية  
ولم تحاول بل لم تتطع أن تتجاوزها.

والتاريخ هو العمر العقلي للإنسان ممثلاً في الحياة البشرية بكافة جوانبها  
وموضحا إنجازات الإنسان وتطوره ومكتسباته عبر المراحل المختلفة.  
وعلي أية حال فقد حفظت لنا الآثار التي خلفها الإنسان نقوشاً عبر فيها عن

---

(1) Toynbee , A study of History. vol. 1,pp.271 ~ 275

جوانب حياته المختلفة فسجل احتفالاته وأعياده، كما سجل انتصارات ملوكه وهزائم جيوشهم، ودون انطباعاته وانفعالاته، وترك للباحثين أعماله الأدبية والعلمية، ومعاناته، وما حل به من كوارث طبيعية أو هجمات بشرية.

لقد سجل المصريون أخبار حياتهم، وإن لم تكن بالأهمية التي سجلوا بها نظرياتهم حول البعث والخلود، كما سجل السومريون والبابليون نظرياتهم حول عباداتهم، وأحوالهم، ونظمهم وقوانينهم.

وكل هذا في الحقيقة يوضح المراحل التي تطور فيها التدوين، وهنا يجب علي المؤرخ أن يوضح للدارسين ضرورة الوقوف علي النص الذي يخدم بحثه، أو النقش التي يدعم رأيه خاصة وأن كثيراً من المدونات القديمة تختلط فيها الحقيقة مع الأسطورة.

والأسطورة في الواقع، وإن داخلها كثير من الخيال إلا أنها تلقي الضوء علي ملامح العصر الذي سجلت فيه، والأفكار التي كانت متداولة بين العامة وغيرهم، وهي مصدر خصب للباحث الذي يود البحث عن أحوال المجتمع في فترة من فترات التاريخ.

هذا بالإضافة إلي أن للفكر القديم، وما حفظته النقوش القديمة بقدمان عدداً كبيراً من الأساطير التي يمكن للباحثين أن يستنبطوا منها كثيراً من الوقائع الهامة لحياة الإنسان.

ولم يختلف في ذلك الإنسان في العراق عن أخيه في مصر، أو الصين أو الهند، كما لم يختلف الإنسان في ذلك في العصور المختلفة.

فالملاحم والأساطير كثيرة تعكس أنماطاً من السلوك والفكر البشريين عن مختلف الشعوب، وتقدم لنا مرحلة من مراحل تطور التدوين من حيث الفكر الإنساني والنظرة العقلية أو العاطفية للأمور.

ويمكن للدارسين من خلال معايشتهم لأبعاد الأسطورة أو الملحمة دراسة تفصيلاتهما وتحليل المغزي الذي تحمله سطورها حتي يمكن أن يتوصلوا إلي تصور

للمشكلات التي عايشتها المجتمعات البشرية القديمة وموقف العقل منها وكيفية معالجتها .

وتحفظ لنا السجلات اليونانية والرومانية، سواء كانت منقوشة علي الحجر أو اللوحات، أو علي البردي أو الواح الطين كثيراً من الملاحم الكبرى التي تصور المعارك العسكرية التي خاضتها تلك الشعوب

إلا أن هناك ملاحم من أنواع أخرى مثل ملاحم البحث عن الخلود، وتبع الحقيقة كما في ملحمتي جلجامش، وإيزيس وأوريس . وهاتان الملحمتان تصوران واقعين مختلفين للمعاناة سجلها لنا الكاتب القديم، الأولي تصور معاناة فردية، والثانية تصور معاناة أسرة وربما ترمز الأسرة ومعاناتها إلي معاناة شعب بأكمله .

ومن العصر اليوناني سجل هوميروس في ملحمتيه الإلياذة والأوديسا أشكالاً من المعاناة في الحروب التي خاضها اليونانيون . مما يقدم درساً سجلته ذاكرة التاريخ ليتعلم من الأحداث من يأتي من بعدهم من الشعوب .

وعلي أية حال فإن الأساطير والملاحم القديمة تشكل جزءاً هاماً من الأدب الشعبي الذي حفظته لنا النقوش والكتب القديمة ومن ثم تشكل مرحلة هامة من مراحل التدوين .

وللأقدمين الفضل الكبير في تسجيل أحداث حياتهم علي جدران معابدهم وقبورهم ومسلاتهم، فلولا ذلك لضاع ذلك السجل الحافل في غياهب النسيان . ولم يكف العلماء المحدثون عن البحث عن أسرار ما سجله ودونه الأقدمون ليقتفروا علي أسرار حياتهم وكنه معتقداتهم، وعلاقتهم بغيرهم في داخل مجتمعاتهم وخارجها وحياتهم العملية اليومية .

وهذا كله وجده علماء الآثار واللغة والتاريخ مدونا بدقة وعناية كما تركه الإنسان القديم ليكون بين أيدينا لتتابع المسيرة من أجل تقدم ورخاء البشرية .

ولم يقتصر ما تركه الإنسان مسجلاً علي ما أشير إليه آنفاً بل تضمن

مخترعاتهم وفنونهم وعلومهم، وطرائق صناعاتهم، وزراعتهم وأسفارهم والعابهم ووسائل تليتهم وأدوات زيتهم وأسلحتهم إلي آخر ما تحفل به الآن الكتب والأرشيفات والمتاحف حيث تقدم معينا خصباً أمام الباحث عن أصل ومعنى وتطور التاريخ.

وتحفظ لنا البرديات القديمة ما دونه أو بالأحرى بعضاً مما دونه الإنسان القديم، ففي مصر القديمة نجد نصائح الحكماء، وقصص الرحلات والقصص الاجتماعية، وأدب الثورة، فنصائح الحكيم إيب ور توضع لنا حرص الإنسان القديم علي الفضيلة، والبحار المصري سنوهي يروي لنا قصة رحلته إلي بيلوس، والفلاح الفصيح يرفض الواقع غير الأمن الذي شهدته البلاد في عصر الفوضى والانتقال الأول إلي غير ذلك مما تحفل به المدونات القديمة من فصول متنوعة من حياة الإنسان القديم.

وسجلت أيدي الفنان القديم صفحات من تاريخ الدولة القديمة علي جدران معابد الدير البحري في صعيد مصر، حيث يوضح العلاقات الخارجية بين مصر وبلاد يونت.

ويصور رعمسيس الثاني علي جدران معابده انتصارات جيشه علي الحيثيين في معركة قادش، كما تحفظ لنا النقوش نصوص المعاهدة التي عقدها مع ملك الحيثيين والتي تعد من أولي المعاهدات الدولية المحفوظة حتي الآن.

وفي العراق القديم حفظت لنا ألواحهم نماذج من إنجازاتهم الحضارية الرائعة، فقانون حمورابي الذي وجد منقوشاً علي لوح طيني يقدم خلاصة تجارب شعب العراق في التشريعات والقوانين وذلك من حسن حظ المؤرخ والباحث في بداية تطور الفكر البشري.

ولا يمكن أن نغفل القيمة التاريخية لمثل تلك النصوص القديمة التي تمثل جوانب أساسية في حضارة شعوب الشرق الأدنى القديم فالدارس لنصوص قانون حمورابي ملك بابل يستطيع أن يتلمس فيها تأثيرات ما بلغه الأنبياء السابقون في

العراق القديم، فابراهيم عليه السلام نشأ في أور وسافر إلي حران ثم إلي فلسطين في فترة تعاصر حكم حمورابي أو قبلها مما نعرفه عن الآداب والشرائع التي كان يعلمها إبراهيم قومه، فالعين بالعين والسن بالسن نجدها واضحة تماماً في نصوص قانون حمورابي.

وقوانين حمورابي علي كل حال هي نتاج تجارب متصلة ومحاولات سابقة من ملوك العراق القديم لوضع أسس لتشريعات يحكمون بمقتضاها تلك الشعوب ومن هؤلاء الملوك تجلات بلاسر وشبليوليم<sup>(١)</sup> ويمكن أن نؤكد ما لتلك التشريعات من تأثيرات علي ما ظهر فيما بعد من قوانين هامة ميزت عصر حمورابي.

وعند الحديث عن أهم ما دونه الأقدمون لا بد أن نذكر ما حفظ لنا عن إختاتون الذي يناجي إلهاً واحداً خالق الكون وعالم الغيب الرازق الواهب الواحد الأحد، وهذا ما سجلته لنا نصوص تل العمارة وهذه النصوص توضح اتجاه الإنسان إلي عقيدة التوحيد، وترك الآلهة والوثنية التي ظهرت في العالم القديم. وأناشيد إختاتون قد نالت شهره عظيمة باعتبارها من أجمل النصوص وأصدقها تعبيراً عن الجانب الروحي في حياة الإنسان.

وهي من جهة أخرى تعكس ضمير الإنسان القديم مثلاً في أحد ملوك مصر الذي حكم عقلة ورفض أن يعبد التماثيل أو الكواكب، بل رأي توحيد الألوهية، وتوحيد العبودية لله الواحد رب العباد الذي لا شريك له ولا حاكم معه، خلق الكون وحده بارادته ومشيئته وقدرته، وخلق الإنسان وعمله ما لم يكن يعلم.

كذلك لا يمكن أن نغفل أناشيد داود عليه السلام التي تعتبر نماذج معبره في شعر الزهد والندم علي ارتكاب المعصية وهناك من المؤرخين من يقارن بين أناشيد إختاتون وبين مزامير داود لشدة الشبهة بينهما في الفكر والمضمون .

لكننا يجب أن نفرق بين داود باعتباره نبيا من أنبياء الله وبين إختاتون ملك مصر القديمة، أما داود فقد آتاه الله بسطة في العلم وأنزل عليه الزبور، وعلمه

(١) رشيد الناصوري : تطور التاريخي للفكر الديني، الكتاب الثالث . المدخل ص. ١٠٤، ١٠٥.

علما لا ينبغي لاحد من بعده، أما اختاتون فقد فكر وتامل واجتهد وما حفظ عنه نتيجة لذلك، وربما كان نتيجة لجهد رجال الدين والكهنوت في دولته، إلا أنه اقتنع بها فنسبت كلها إليه .

ولا يجب أن نغفل في هذا المقام ما ورثته الشعوب السابقة في هذه المنطقة من الأصول الدينية التي جاء بها الأنبياء الأولون وما وصل إليها ظهر واضحا في الإنتاج الفكري لتلك الشعوب .

وأسمهم اليونانيون بدورهم في تسجيل أحداث تاريخهم سواء ما كان أحداثا أسطورية أو أحداثا حقيقية تمثلت في حروبهم وترحالهم وبحثهم عن حياة أفضل . إن ما تركه المفكرون اليونانيون القدماء أمثال أفلاطون وأرسطو وسقراط يعتبر علامات بارزة في تاريخ الفكر الإنساني، وفي التاريخ البشري للأمم السابقة وبصفة خاصة في الشرق الأدنى القديم، فقد أطلعوا خلال رحلاتهم علي الفكر المصري القديم والتجارب الخصبية التي عاشتها مصر القديمة إضافة إلي فكر سورية القديمة والعراق القديم مما ظهر واضحا فيما تركوه لنا من نتاج فكري وعقلي متميز .

كذلك أسهم المفكرون الرومان في تسجيل التطور الفكري للعقلية الإنسانية فيما قدموه من قوانين وتشريعات كان لها مكانها المرموق بين النتاج الفكري العالمي .

وعلي أية حال فإن العقل البشري لم يفتأ يطور ذاته، ويتطلع إلي الأفضل والأكثر اتقاناً تاركاً للأجيال التالية تراثاً حضارياً ضخماً يحار الإنسان في جنباته، ويشق علي الباحثين سير غوره لكثرتة وتنوعه وعمقه وصعوبته مما يزيد من المسئولية الملقاة علي عاتق المؤرخين المحدثين علي اختلاف تخصصاتهم وميولهم ومشاربهم ومعتقداتهم وانتماءاتهم .

ولا تعني هذه المقولة أن ما أسهم به المؤرخون المحدثون في دراسة ذلك التراث والتعريف به والكشف عنه قليل، فإن الجهود المبذولة في هذا المجال جهود

جبارة ولولاها لما كان أمام الباحثين الآن ما أمامهم من مادة علمة وفيرة، ومصادر محققة منشورة أو غير منشورة دون تحقيق، وكلها في واقع الامر لها قيمتها باعتبارها زادا يغني الباحثين والدارسين لإشباع حاجتهم في البحث عما يريدون.

### دور العرب في التدوين:

ارتبط دور العرب في التدوين بقيام الدولة الإسلامية في المدينة، ومع ذلك فلا نستطيع أن نغفل الدور الذي قام به الإنسان في شبه الجزيرة العربية في محاولاته للتدوين إلا أنها كانت في معظمها بدائية ولم تصل إلي المستوى الذي وصلت إليه جهود المسلمين في التدوين.

ونستطيع أن نقرر أن دور العرب الحقيقي في التدوين يبدأ بتدوين القرآن الكريم ذلك أن عملية جمع القرآن الكريم كانت من العلامات المميزة للعرب والمسلمين علي طريق التدوين، بل للمؤرخ أن يقر أن هذه العملية كانت أهم وأخطر خطوة قام المسلمون بها ليقف دليلاً علي بداية التدوين عندهم علي الإطلاق. (١)

تنزل القرآن الكريم علي محمد بن عبد الله ﷺ، وكان حفظة القرآن يحفظونه عن ظهر قلب، وكان كتاب الوحي يسجلون ما يتلي عليهم علي ما وجدوه من الحجارة والرقاع وسيف النخيل وغير ذلك.

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلي الرفيق الاعلي امر الصديق رضي الله عنه أن تجمع الرقاع والاحجار والجلود التي سجل عليها القرآن الكريم وذلك بناء علي ما رآه الفاروق رضي الله عنه.

(١) انظر مصطفى الشكعة : منابع التأليف عند العرب، ص ٣٨.

وتروي المصادر أنه حين استحضر القتل بقراء القرآن في يوم اليمامة جاء الفاروق رضي الله عنه إلي أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال: إني أرى أن تجمع القرآن. (١)

وعلي الرغم من تردد الصديق رضي الله عنه في ذلك علي أساس أن رسول الله ﷺ لم يفعل هذا إلا أن عمر حسن ذلك للصديق رضي الله عنهما وشرح الله صدر الصديق لهذا العمل العظيم.

وظنق كتاب الوحي يجمعون القرآن الكريم من العصب واللخاف وصدور الرجال حتي استطاعوا جمعه.

وكانت الصحف عند الصديق رضي الله عنه حتي توفاه الله، واحتفظ بها عمر الفاروق رضي الله عنه ثم حفظتها حفصة بنت عمر حتي أيام عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

وقدم علي ذي النورين رضي الله عنه حذيفة بن اليمان وكان مع المجاهدين في الشام والعراق، وحدث خليفة المسلمين عن اختلاف الناس في قراءة القرآن الكريم.

وتروي لنا المصادر أن حذيفة قال لعثمان رضي الله عنهما: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأسرع خليفة المسلمين رضي الله عنه بأن أرسل إلي حفصة بنت عمر: أن أرسل إلي ابنا بالصحف تنسخها في المصاحف، وأرسلت حفصة بها إلي عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. (٢)

وتبع تدوين القرآن الكريم في المصاحف أن فكر المسلمون في تدوين الحديث، وقد أدرك المسلمون أهمية ذلك خاصة بعد أن تم لهم الاطمئنان علي

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٧٧

فان: فتحية التبراي: الخلفاء الراشدون ص ص ٢١٢ - ٢١٣

(٢) ابن العربي: المعاصم من القواصم ص ص ٦٦ - ٦٩

كتاب الله ففطنوا بوجهون اهتمامهم إلى حديث رسول الله ﷺ .  
وكان عبد الله بن عمرو بن العاص من أكثر الرجال اهتماماً بأحاديث رسول  
الله ﷺ ، بل أصدق الناس رواية لها .

لقد راودت فكرة تدوين الحديث الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله ووافق  
علي ذلك بعض الصحابة رسول الله ﷺ لكن هذه الفكرة لم تر النور لأن الفاروق  
عمر رضي الله عنه تردد في ذلك .

كما أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأمصار لجمع أحاديث  
رسول الله ﷺ لكن هذا لم يتم أيضاً .

وظل رواة الحديث يروونه كما أوصي بذلك رسول الله ﷺ حتى العصر  
الأموي حيث بدأت الأهواء عند ضعاف النفوس في وضع أحاديث ونسبتها إلى  
رسول الله ﷺ . وكان تأخر جمع الحديث يقوم علي أن رسول الله ﷺ قد نهى  
عن كتابة أي شيء أو تسجيله سوي القرآن الكريم .

ورأي المسلمون أنه من الضروري جمع الأحاديث النبوية الشريفة خشية  
عليها من التحريف أو الضياع أو النسيان، فقام علي ذلك العمل الجليل الإمام  
مالك بن أنس حيث توفر علي جمعه في كتابه الموطأ وذلك في المدينة .

وعاصر الإمام مالك بن أنس عدد من علماء المسلمين ركزوا جهودهم علي  
جمع الأحاديث النبوية ففي مكة قام علي جمع الأحاديث النبوية عبد العزيز بن  
جريح وفي الشام عبد الرحمن الأوزاعي وفي العراق سفيان الثوري وحماد بن  
سلمة بن دينار . (١)

وبهذا يكون القرن الثاني للهجرة هو القرن الذي شهد اهتمام رجال الحديث  
بتدوينه وتسجيله وحفظه من الضياع، وما أن انتصف القرن الثالث الهجري حتى  
ظهر الإمام أحمد بن حنبل الذي كرس جهوده ووهب حياته لجمع السنة النبوية  
المطهرة، واستطاع خلال عمله المضي أن يجمع في كتابه المسند ما تأكد من

(٢) كان الثوري في الكوفة، وحماد بن سلمة في البصرة .

صحته واتصال سنده إلي رسول الله ﷺ حتي بلغ عدد هذه الأحاديث ثلاثون ألف حديث صحيح انتقاها من بين سبعمائة وخمسين ألف حديث .

يقول السيوطي: قال الذهبي: في سنة ثلاث وأربعين شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج بمكة، ومالك بالمدينة والأوزاعي بالشام وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف هشيم والليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو سيف وابن وهب، وكثر تدوين العلم وتسويبه، ودونت كتب العربية، واللغة، والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف غير مرتبة. (١).

وتواصل اهتمامات علماء المسلمين بالأحاديث النبوية فيطالغنا الإمام البخاري بكتابة الصحيح في الأحاديث الستة الصحاح، وقد روي عنه أنه قال: خرجت كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث في ستة عشر سنة وكتبت عن ألف وثمانين رجلاً فليس فيهم إلا صاحب حديث كلهم يقول: الإيمان قول وعمل. (٢)

وتبعه في هذا العمل الجليل محمد بن زيد بن ماجة، وأبو داود والترمذي والنسائي.

وقد مثل هذا العمل الذي قام به العلماء المسلمون جهداً عظيماً حفظ الامة الإسلامية سنة رسولها ﷺ المصدر الثاني للتشريع.

ولا يفوت المؤرخ أن يوضح المنهج الذي اتبعه رجال الحديث في جمعه فقد عمل هؤلاء الرجال علي التثبت من صحة الحديث وتتبع سلسلة إسناده ثم صنفوها علي درجاتها ومراتبها وحسب قوتها وضعفها.

ولم يكن هذا العمل سهلاً بل كان شاقاً مضيئاً اذ تطلب اثبات الحديث

(١) جلال الدين السيوطي - تاريخ الخلفاء - ص ٢٦١.

(٢) انظر صحيح البخاري - طبعة نشب ٣ اجزاء - ولد الامام البخاري في ١٩٤ هـ وتوفي عام ٢٥٦ هـ.

الواحد البحث عن أصله وامتته حتي ولو أدى ذلك بهم إلي الترحال والبحث عنه في أي مكان.

وعرف عن العرب اهتمامهم برواية الأخبار ومعرفة الأنساب ورواية قصص البطولة وأنباء الحروب بواسطة الرواة والإخباريين مثل النضر بن الحارث بن ومخرمة ابن نوفل وعقيل بن أبي طالب.

ويعتبر عبيد بن شربة الجرهمي اليمني من أوائل الرجال الذين صنفوا كتاباً في التاريخ وذلك للملك اليمن القسامي، وتحدثنا المصادر أن معاوية بن أبي سفيان استدعاه إلي بلاطه في بلاد الشام وكلفة بأن يصنف له كتاباً في تاريخ العرب أسماء كتاب الملوك وأخبار الماضيين. (١)

ومن أهم الرجال الذين اهتموا بكتابة التاريخ القديم وهب بن منبه اليمني الذي عاصر شربة الجرهمي حيث صنف كتاب التيجان وملوك حمير ذلك الكتاب الذي كان مصدراً أساسياً لكثير من المؤرخين المسلمين ومن بينهم محمد بن جرير الطبري. (٢)

كما أن إبان بن عثمان بن عفان كتب بالمدينة صحفاً عن سيرة رسول الله ﷺ واهليهما شرح فيها أعماله وجهاده وغزواته في سبيل الله.

وكان عروة بن الزبير بن العوام من الأوائل الذين كتبوا في سيرة رسول الله ﷺ اعتمد كل من ابن اسحق وابن هشام وابن سعد يقول الصفدي: وأول من صنف في المغازي عروة بن الزبير رضي الله عنهما. (٣)

واهتم عروة بن الزبير بن العوام بعصر النبوة والخلفاء الراشدين وكانت كتابته من المصادر الأساسية لمن جاء بعده من المؤرخين وعلي رأسهم محمد بن جرير الطبري.

(١) نشر الكتاب عام ١٣٤٧هـ في حيدر أباد الدكن بالهند.

(٢) انظر فتحية التبراي . تاريخ النظم والحضارة الإسلامية . ص ٢٠١ .

(٣) انظر الصفدي : الوافي بالوفيات . ج ١ ص ٧

ومن أهم الرجال الذين اعتنوا بكتابة السيرة النبوية الشريفة ابن شهاب الزهري الذي يعتبر مؤسداً للمدرسة التاريخية في المدينة .

شهد القرن الثاني الهجري اهتماماً ملحوظاً بكتابة السير والمغازي وكان موسى بن عقبة مولى الزبير بن العوام الذي وضع أساس هذا النموذج من الكتابة وتبعه في ذلك الواقدي وابن سعد وغيرهما . (١)

ويمثل ابن اسحق بكتابه عن السيرة النبوية الشريفة فترة النضج في الكتابة والتدوين التاريخي حيث وضع ابن اسحق كتابه الشهير في مغازي رسول الله ﷺ بناء على طلب الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور .

ومن الجدير بالذكر أن الأصل الذي وضعه ابن اسحق لم يصل إلينا إلا عن طريق ابن هشام الذي هذب واختصر ما كتبه ليصبح بعد ذلك مشهوراً بين المؤرخين بسيرة ابن هشام .

وقد كانت مغازي ابن اسحق مصدراً أساسياً لكل من الواقدي صاحب الفتوح والأخبار ، ومحمد بن جرير الطبري صاحب تاريخ الرسل والملوك ويستطيع المؤرخ تتبع فقرات كاملة من المغازي لابن اسحق عند كل من الواقدي والطبري ، مما يؤكد اعتمادهما على السيرة الاسحاقية مصدراً لتاريخيهما .

ويأتي من بعد ذلك الواقدي ليمثل فترة هامة في الكتابة التاريخية عند المسلمين ومن بعده ظهر تلميذه ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى ومن المعروف ، أن ابن سعد قد تتلمذ بعد الواقدي علي عدد من الشيوخ أمثال سفيان بن عيينه وأبي الوليد الطيالسي ومحمد بن سعدان الضرير ووكيع بن الجراح القاضي وسليمان بن حرب وهشيم والفضل بن دكين والوليد بن مسلم ومعن بن عيسى وعشرات غيرهم من الرجال المشهود لهم بالصدق والعدالة في رواية الحديث النبوي . (٢)

(٣) فارن الصفدي : الوافي بالوفيات . ج ١ ص ٧

(١) ابن سعد - الطبقات الكبرى ج ١ ، ص ٧٠٦

ومع انتقال الثقل السياسي إلي بغداد تحول المد الثقافي إليها حيث ازدهرت الكتابة التاريخية سواء في بغداد أو البصرة. وفي العصر العباسي يظهر شيخ المؤرخين المسلمين محمد بن جرير الطبري صاحب الموسوعة الكبرى في التاريخ: تاريخ الرسل والملوك.

استطاع الطبري أن يحتل قمة الكتابة التاريخية في القرن الثالث الهجري وما بعده إلا أنه من الواجب أن نشير إلي المصادر التي اعتمد عليها محمد بن جرير والتي تمثل فيما ترك السابقون من الرواة والأخباريين ورجال الحديث والنسابة وقد أخذ عن كل في فنه وتخصصه، فقد أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة وغيرهما ممن نقل عن ابن عباس، واعتمد علي ابان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحيل وابن سعد وموسي به عقبة وابن اسحق في سيرة رسول الله ﷺ، أما أخبار عصر الخلفاء الراشدين فنقلها عن سيف بن عمر الأسدي، وأما أحداث الجمل وصفين فكان المدائني وأبو مخنف المصدرين الأساسيين له واعتمد كتابات عوانه بن الحكم في أخباره عن الأمويين وأحمد بن أبي خيثمة عن العباسيين.

إن كتابات أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعد الأزدي من المصادر الأولى التي تظهر واضحة في كتابات الطبري ومصنفاته، ولعل الفضل يرجع إلي محمد ابن جرير في حفظ ما ألف أبو مخنف حيث لم يصل إلينا عنه من روايات سوى ما أورده الطبري في تاريخه الكبير.

وأبو مخنف من الكتاب العلويين الذين عرف عنهم تشيعهم الشديد إلي آل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد استطاع في فترة مبكرة أن يدون تاريخاً وافياً كان راداً للطبري في تاريخ الرسل والملوك.

ولما كان أبو مخنف من كتاب العلويين كان علي المؤرخ أن يتناول مادته العلمية بكثير من الحذر، ويطبق عليها كثيراً من الضوابط حتي يجنب نفسه أي زلل قد تحمله هذه الرواية أو تلك.

وعلي أية حال فإن القرن الثالث الهجري شهد نهضة مميزة في التدوين عند

العرب لكتنا يجب أن نؤكد أن بداية التدوين تعود إلى العصر الإسلامي الأول، وهذا يأتي للرد علي من يحاول أن يجعل بداية التدوين الحقيقية ترتبط بالعصر العباسي، ليعود بذلك الفضل في نشأة التدوين إلى غير العرب.

إن هذه القضية توضح كيف كان لعلماء الحديث البد الطولي في تأصيل الأسس التي سار عليها التدوين في العصر الإسلامي الأول، وكيف تطور فيما بعد علي أيدي العلماء المسلمين حتي أن المؤرخين الأول ساروا علي منهج مدرسة الحديث في تدوين التاريخ، واستخدموا منهج المحدثين في تدوين الرواية التاريخية وبهذا يستطيع المؤرخ أن يؤكد أن العرب قد قاموا بدور هام وأساسي في وضع أسس الكتابة عموماً والكتابة التاريخية علي وجه الخصوص.

والكتابة التاريخية قد اتخذت أسماء واصطلاحات كثيرة، فقد صنفها الباحثون المتخصصون تحت أبواب التاريخ العام، والتاريخ الخاص، والسير والتراجم، وكتب الرحلات، وكتب الوفيات، ومعاجم البلدان، والرسائل المتخصصة، والموسوعات الشاملة، وكتب النظم، وكتب الأموال والقانون والخراج. وهذه الأصناف تتداخل في كثير من الأحيان، وتميز في أحيان أخرى لكنها جميعاً تدخل في إطار الكتابة التاريخية أو التدوين التاريخي ومع ذلك فيمكن للمؤرخ أن يتناول كل صنف علي حدة أو يتناولها جميعاً عند دراسة موضوع من الموضوعات، لكن هذه المصنفات تقف شاهداً علي تنوع الكتابة التاريخية وتطورها عبر العصور المختلفة.

وقد شهدت الكتابة التاريخية أوج تطورها في العصر العباسي حيث أصبح المؤرخ المسلم يخصص في كتاباته ما يعد تاريخاً صرفاً، وتنافس المؤرخون المسلمون فيما قدموا من مؤلفات ضخمة في التاريخ، ويلمس المؤرخ الحديث مدي التنافس الذي كان بين مؤرخي تلك الفترة مما أثري ولا شك الكتابة التاريخية.

وأما ما قدمه هؤلاء المؤرخين من أعمال عظيمة في التاريخ يقف المؤرخ الحديث من خلالها علي تطور الأحداث ونتائجها مع المادة التاريخية الأصلية

والمعلومات الأولى لشهود لعيان أو غيرهم مما يمكنه من كتابة تاريخ أي فترة زمنية بشكل موثق يعين علي معرفة الحقيقة في تلك الفترة.

### علم التاريخ عند المسلمين:

لا يمكن للمؤرخ أن يضع بداية واضحة المعالم محددة الملامح لظهور علم التاريخ ذلك أن الاجتهادات كثيرة حول هذه القضية والآراء متعددة تجاهها. ويذهب البعض إلي أن ظهور علم التاريخ يرتبط بالعصر الحديث حيث اكتملت معالمه واتضحت أصوله وأصبح علماً بمعنى الكلمة شأنه شأن كافة العلوم الأخرى.

بينما يذهب البعض الآخر إلي أن علم التاريخ يضرب بجذوره إلي أزمنة بعيدة ترتبط ببداية ظهور الكتابة وارتقاء المجتمع الإنساني واستقراره مكوناً بذلك أول نظام منياسي علي سطح الأرض.. وكما اختلف حول بداية ظهور علم التاريخ فقد تعددت الآراء ووجهات النظر حول مفهومه وما هيته وموضوعه.

وقد حسم العلماء المسلمون هذه القضية في مؤلفاتهم الخاصة بهذا الموضوع فيقول الشمس السخاوي في تعريفه للتاريخ من حيث الاصطلاح: «وفي الاصطلاح هو التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة، ووفاء وصحة عقل وبدن ورحلة وحج وضبط وتوثيق وتجميع وما أشبه هذا مما مرجه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور ملمة وتجديد فرض وخليفة ووزير وغزوة وملحمة وحرب وفتح بلد وانتزاعه من متغلب عليه وانتقال دولة وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء وغير ذلك من أمور الأمم الماضية وأحوال القيامة

ومقدماتها» . (١)

يستطرد السخاوي فيقول: أما موضوعه فالإنسان والزمان، وأما فائدته فمعرفة الأمور علي وجهها، ومن أجل فوائده أنه أحد الطرق التي يعلم بها النسخ في أحد الخبرين المتعارضين المتعذر الجمع بينهما .

وهكذا بين السخاوي تعريف التاريخ من حيث الاصطلاح ووضح موضوعه وفوائده وهو بهذا يضع المؤرخ علي الطريق السليم في الوقوف علي ماهية التاريخ وكنهه ومجالاته واهتماماته وموضوعاته وفوائده .

وليس السخاوي وحده هو الذي ذهب هذا المذهب فقد سبقه إلي الحديث عن أهمية علم التاريخ أو أهمية التاريخ وفوائده غيره من المؤرخين فقد ذكر ابن الأثير: ولقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية، ويظن بنفسه التبجر في العلم والرواية يحتقر التواريخ ويزدرئها، ويعرض عنها ظناً منه أن غاية فائدتها القصص والأخبار ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار، وهذه حال من اقتصر علي القشر دون اللب نظره وأصبح مخضباً جوهره (٢)، ومن رزقه الله طبعاً سليماً وهده صراطاً مستقيماً علم أن فوائده كثيرة ومنافعه الدنيوية والأخروية جمة غزيرة، وها نحن نذكر شيئاً مما ظهر فيها. ونكل إلي قريحة الناظر فيه معرفة باقيها .

فأما فوائده الدنيوية فمنها إن الإنسان لا يخفي يحب البقاء ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء، فياليت شعري! أي فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين؟ فإذا طالعتها فكأنه عاصرهم، وإذا علمها فكأنه حاضرهم» (٣)

ويضيف ابن الأثير ما مفاده: أن الملوك ومن إليهم الأمر والنهي إذا اطلعوا علي تجارب الماضي وأحداثه أفادوا منها واستفحوا الأشياء التي أساءت للبتلاد والعباد

(١) السخاوي : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . ص ٧

(٢) للمخضب : حرز يتخذ منه حلي

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١، ص ٧٠٦ .

واستحسنوا السيرة الحسنة للحكام والولاة العادلين فرغبوا فيها وخلصوا به واستعادوا نفائس المدن وعظيم الممالك .

«وأما الفوائد الأخرى فمنها: أن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا بأهلها، وتتابع نكباتها علي أعيان قاطنيها وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم فلم تبق علي جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير زهد عنها وأقبل علي التزود للأخرة منها . . . ومنها التخلق بالصبر والتأسي وهما من محاسن الأخلاق فإن العاقل إذا رأى مصاب الدنيا لم يسلم منها بني مكرم ولا ملك معظم بل ولا أحد من البشر علم أنه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم» . (١)

ويتحدث العماد الكاتب الأصفهاني عن فوائد التاريخ فيقول: «ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة، ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاضلة، ولقل الاعتبار بمسألة العواقب وعقوبتها وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها وما وراء سهولتها من صعوبتها» . (٢)

## التاريخ الهجري:

يبدأ التاريخ الهجري بهجرة رسول الله ﷺ من مكة إلي المدينة، وكانت هذه النقطة التاريخية الهامة نقطه تحول في تاريخ المسلمين ومن ثم اتخذها المسلمون بداية لتاريخهم وكان العام الأول للهجرة الموافق العام ٦٢٢م بداية التاريخ الإسلامي . وتناول المؤرخون المسلمون هذه البداية التي تحدد التاريخ الإسلامي فيذكر محمد بن جرير الطبري ذلك في أحداث العام السابع عشر للهجرة النبوية الشريفة يقول: فيها كتب التاريخ في شهر ربيع الأول، ويضيف الطبري نقلا عن رواية ابن أبي سبرة عن عثمان بن الله بن أبي رافع عن ابن المسيب قال: أول من كتب

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ - ج١، ص ٨

(١) العماد الكاتب الأصفهاني: الفتح القدسي . ص ٤٤ .

التاريخ عمر. لستين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. (١)

وفي رواية أخرى عن سعيد بن المسيب يقول: جمع عمر الناس فسألهم أي يوم نكتب؟ فقال علي: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك ففعله عمر.

ويقول ابن الأثير: قيل لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أمر بعمل التاريخ والصحيح أن عمر بن الخطاب هو الذي أمر بوضع التاريخ.

ويوضح ابن الأثير سبب ذلك فيقول: وسبب ذلك أن أبا موسى الأشعري كتب إلي عمر: إنه باتينا منك كتب ليس لها تاريخ. فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم: أرخ لمبعث النبي ﷺ، وقال بعضهم لمهاجرة رسول الله ﷺ فقال عمر: بل نزرخ لمهاجرة فإن مهاجرته فرق بين الحق والباطل، وهذه رواية الشعبي كما يوردها ابن الأثير. (٢)

وفي رواية أخرى يذكر ابن الأثير أنه رفع إلي عمر صك محله شعبان فقال: أي شعبان؟ أشعبان الذي هو آت أم شعبان الذي نحن فيه؟ ثم قال لأصحاب رسول الله ﷺ: ضعوا للناس شيئاً يعرفونه فقال بعضهم اكتبوا علي تاريخ الروم فإنهم يؤرخون من عهد ذي القرنين فقال هذا يطول فقال الفاروق: اكتبوا علي تاريخ الفرس فقليل إن الفرس، كلما قام ملك طرح تاريخ من كان قبله، فاجتمع رأيهم علي أن ينظروا كم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة فوجدوه عشر سنين فكتبوا التاريخ من بدء هجرة رسول الله ﷺ.

وفي رواية ثالثة يذكر ابن الأثير: أنه قدم علي عمر رضي الله عنه رجل فقال أرخوا فسأل الفارق ما معني ذلك؟ فقال شئ تفعله الاعاجم في شهر كذا من سنة كذا فقال الفاروق حسن، فأرخوا، فاتفقوا علي الهجرة ثم قالوا من أي الشهر؟

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك . ج ٤ ص ٣٨

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ . ج ١ ص ١٠.

فقالوا: من رمضان ثم قالوا فالمحرم هو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجمعوا عليه.

ولم تقتصر الروايات التي أوردها ابن الأثير علي ذلك فهناك رواية لسعيد بن المسيب تقول: إن الفاروق عمر رضي الله عنه: جمع الناس وسألهم من أي يوم نكتب فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: من مهاجرة رسول الله ﷺ وفراقة أرض الشرك ففعل ذلك عمر رضي الله عنه. (١)

وهكذا نرى أن الفاروق رضي الله عنه هو الذي وضع التاريخ الهجري للمسلمين وذلك بعد أن استشار عدول المسلمين، ونزولا علي آرائهم ورجبتهم وقد وافقت الأمة علي أن يكون مهاجر سول الله ﷺ من مكة إلي المدينة هو بداية لستهم الهجرية وهو أول ما يؤرخون به لحياتهم السياسية وقد الغي هذا العمل ما سبقه فبعد ما كانت العرب تؤرخ بعام الفيل أصبحوا يؤرخون بهجرة رسول الله ﷺ من مكة إلي المدينة وذلك في عام سبع عشرة أو ثمانني عشرة للهجرة.

ومن هنا كانت أهم نقطة تحول في التاريخ الإسلام والمسلمين وهي ما سنه الفاروق عمر رضي الله عنه من وضع بداية التاريخ الهجري للمسلمين في ذات الوقت نقطة الإنطلاق نحو قيام المدارس التاريخية المختلفة، تلك المدارس التي كان لها باع طويل في التدوين التاريخي والكتابة التاريخية، وتسجيل تاريخ المسلمين ووضع الأسس العلمية والمنهجية ليصبح التاريخ علماً له أصوله وقواعده.

---

١ - ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، ج١ ص ١١